حكايتك الأولى



مشاكس و ضبش



ذِئْبٌ فِي طَرِيقٍ عَام

مجموعة قصصية

اسم المؤلف : يوسف محمد حسين

اسم العمل : ذئب في طريق عام

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ١٤٤١ هـ
٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١١١١٥٤٧٤٠٧١ ❖❖❖ ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤

البريد الالكتروني yuness٢٠٠٥@hotmail.com

يوسف محمد حسين

ذِئْبٌ فِي طَرِيقٍ عَام

مجموعة قصصية





١٢٧ ش أثر النبي – مصر القديمة ـ القاهرة
ت: ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ ـ ٠١٢٢٩٠٦٩٣٤٨



حسين ، يوسف محمد

ذئب في طريق عام / يوسف محمد حسين ، القاهرة : دار الزهور والبركة ٢٠١٩/٢٠٢٠

٨٠ ص - ١٤ × ٢١ سم

رقم الإيداع : ١٩٩٧٤

تدمـــــك : ٩٧٨٩٧٧٥١٣٩٥٢٥

١- قصص قصيرة - عربية

٢- **العنوان :**

ديوي : [٨١٣]





الحكاية الأولى

مُشَاكِس وَضَبش

مُشَاكِس وَ**ضَبَش** هُمَا صَدِيقَان مُخلصَان وأيُّ إخلاصٍ لبعضِهما الْبعض !.

الصَّدِيقُ الأولُ **مُشَاكِس** نحيلُ الجسمِ ..لا يَكادُ يُرَي، تَبرزُ مِنْ صَدرِه الْعظامُ حَتى كادَتْ تَخرجُ منه..ووجهُه شاحبٌ كشحوبِ الْموتَي الأحياءِ، حَتَّى إِذا رآه إنسانٌ أخذَ يُشفقُ عَليه مِنْ فَرْطِ ضَعفه وهَذلانه، لَكنْ رُبمَا عَوّضَه اللهُ – عزّ وجلّ –عَنْ هَذَا الْجسدِ النّحيلِ بلسَانٍ طَويل وعَقلٍ حَاضرٍ .

الصَّديقُ الثَّاني **ضَبَش** فَيَا لتعاسةِ حَظِّه مَنْ قَادتَه الأقدارُ؛ ليقعَ في طَرِيقِ هَذا **الضَبَشي**...حيثُ إنّه عريضُ الأَكْتافِ كالْمُصارعِين الرُّومانيين الْقُدماءِ،

سواعدُه تفوقُ ضخامةَ هؤلاءِ الْمُصارعِين سَابقِي الذِّكر، وجَسدُه في مُجمله مُمتلئٌ بالشّحوم ولكنها شحومٌ تشدُّ من عَضد الْعَضَلات فيبدو إِنّه منْ الأجساد الْمترهلة إلا أَنَّها ذاتُ قوةٍ، ولو انتقلْنا إِلَى قَسَمَات الْوجه فمَا أشقَاه منْ وَصف!.. فيَا تُرى مَا الطريقُ إِلَى وَصْفِه؟!.. سَأبذلُ الْجهدَ في وصفه.. وجهٌ كسَائرِ وجوه الأطفالِ .

على الرَّغم إنَّه في المرحلةِ الإعدادية إلا أَنَّك تشعرُ أنَّك أمامَ رَضيعِ مِنْ الأطفال، له صدغٌ كبيرٌ يَكادُ أنْ يصلَ إِلَى عنقه.. كلما مشَى ارتجّ صدغُه رجَّات ظاهرةً، وله من الأسنانِ ما تُثيرُ الْعجب.. وكأنَّ كلَّ أسنَانِه في الفكِّ العلوي قدْ اُختزلَتْ في سَنتين اثنتين عَريضتين ..كأنَّه أرنبٌ من الأرانب الْعلوية، وإِذَا ما صَعدْنا أعلَى الْوجه لَرَأينا بشكلٍ مَلْحُوظ تِلكَ الْجبهةَ العريضةَ والشَّعرَ الْمعكوفَ علَي نفسه ليصنعَ حلقاتٍ مُحلّقة.. بَعضُ تلكَ الْحلقاتِ كبيرٌ ظاهرٌ للعَيان وبعضُها الآخرُ صغيرٌ لا يكادُ يتضحُ للعيان.

كأنّ اللهَ قدْ منحَه البسطةَ في الْجسم والْقلة في العقل، إذا مَا افترضْنَا أنَّ له عقلا من الأساس.

هكذا كانَ الصَّدِيقَان (**مُشَاكِس** و **ضَبَش**) ، كانَ الاختلافُ واضحًا بينهما في كلِّ شيءٍ ..الْجسدِ والعقلِ والملامحِ.. ولكن لم يَعرفْ الحيُّ كله صداقة مثل صداقة هَذين الشَّخصين **مُشَاكِس** و**ضَبَش** في الْوفَاء والإخلاص والإيثار والتضحيات العظام ، ولَمْ يَكُنْ يُرَى أَحدٌ منهم دُونَ صَاحبه وكأنَّهما مُلتصقَان .

كَانَ **مُشَاكِسُ** أستاذًا مُبدعًا في إثارة الْمشكلات وفرضها بالْقوة ثُمَّ يَنسحبُ منْ الْمشكلة بكلِّ هُدوء ؛ ليتدخلَ **ضَبَش** دُونَ تفكير فَيُنهيها.

إنَّ تلكَ المعاركَ الضَّاريةَ لدَى **ضَبَش** لَهِي أهونُ بكثيرٍ منْ التَّكفيرِ وإرْهَاق ذهْنه فيمَا لا طَائل منْ ورَاءه، ومَا هي سِوَى دَقَائِق مَعدودة ويَخْرج **ضَبَش** ظَافرًا مُظفرا..يَمْشِي بِجواره **مُشَاكِس** في خَيلاء وزَهو .. يَنْظرُ في أَعين زملائه الذَّين افترشُوا الأرض منْ جَراء رَكَلات

ضَبَش ، مَا أشدَّ غَطرسةَ الْمُنتصر عِنْدَ انتصارِه! ومَا أشدَّ انكسارَ الْمَهزوم عنْد هزيمته!

ذات يوم تَاقت نفسهما لأكل التِّين الشُّوكي.. ولمْ يكنْ مَعهما ثَمنه، وكَانَ في منطقتهما سَيدةٌ عَجوز اشتهرَتْ ببيع التَّين فلمْ تكنْ تَبيعُ غيرَه وتنتظرُ قدومه منْ الْعام إلَى الْعام، حَتي أنَّهم أطْلَقوا عليها (رَاوية تين) .

فَكَرَ **مُشَاكِس** في حيلة يَحْصلان بهَا عَلَى بضع حَبات من التَّين يَستطعمونها.. وتَرضي بها نفوسهم الْملتاعة فتَطمئن وتَسكنُ ، قدحَ **مُشَاكِس** زنادَ فكره حتى إنّه أنتجَ فكرة شيطانية.. فأمرَ صَديقه **ضَبَش** بالتَّقدم نحو مشَنَّة التّين واختطاف واحدة ثم يفرّ هاربًا .

لمْ يفكرْ **ضَبَش** كَعادته بَلْ انطلقَ مثل صَاروخ غَادرَ قَاعدته توًا نَحو مشَنَّة التِّين وخَطفَ إحْدَى الْحَبَّات وفرّ مُسْرِعًا فَمَا كَان منْ **رَاوية** إلا أنْ تهرولَ خَلْفه وخَلعَتْ نَعْلَها ورمتْه به وهي تُطلقُ نَحوه سَيلا منْ السُّباب واللّعنات .

أما **مُشَاكس** فجَلسَ بهدوء تَام أمَام مشَنَّة التِّين وراحَ يَمْلأَ كيسَه الأسودَ الذّي يَحُوزه ثُمَّ اعْتَدلَ وسَارَ في ثقة وهُدوء.

أتَي **مُشَاكس** ذَات يَوم وقَدْ اكْفَهرَتْ عَلامَاتُ وَجهِه ..حَائرَ النَّفس .. كأنَّه قادمٌ علَى مصيبة لا خلاصَ منْهَا ، والتفت إلَى صَديقه فوجدَه يُطبقُ بكلتا يَديه عَلَى رَغيف عَيش (كمَا يُسمونه ساندوتشَ الصَّاروخ) ملفُوف بدَاخله الطَّعمية حتَّي خُيلَ إليه أنَّ الرَّغيف يتألمُ وجعًا وأشاحَ بوجهه مبتعدًا عنْ هَذا الْمشهد وكأنَّه قدْ صَرفَ رَأيَه عنْ فكرة دَارَتْ بذهنه، لكنْ سُرعَان مَا عَادَ ببصرِه مَرَّة أُخرى ثُمّ قَالَ في حَزم **لضَبَش** :

- أنَا علَى وَشك الْفَصل من الْمدرسة لسُوء السّلوك وإثَارة الْمشكلاتِ ..الْمديرُ قدْ أَبْلغني بعدم الْحُضور إلا برفقة وليّ الأمر وطلبي أنّك تَقُومُ مقامَ وليّ أمري فلا غضاضة من تعنيفي وتوبيخي أمام النّاظر إذا ما لزم الأمر ، فأطرقَ **ضَبَش** بسمعه ثم هزّ رأسه بالموافقة...في صباح اليوم التّالي اصطحب **مُشَاكِس ضَبَش** وذهبَا معًا

قَاصدين غُرفة النّاظر وما إنْ فُتحَ البابُ ورأَى **ضَبَش** النّاظر جالسًا خلفَ مكتبه حتّي اندفعَ مثل الثُّور الهَائج فحملَ **مُشَاكسَ** فوقَ رأسه ورمَى به علَى الأرض فانطلقَتْ منْ **مُشَاكس** صَرخَات مُدوّيَة فانقضَ عَليه **ضَبَش** مُكَملا مَا بدأه فأنزلَ عليه وابلا من الرّكلات واللّكمات،وهو يهددُه ويتوعدُه بأنّه سيُفعلُ به هكذا كلُما اختلقَ مشاكل أو اقترفَ جُرمًا ..

اجتمعَ المديرُ وأعضاءُ هيئة التّدريس ليخلصُوا **مُشَاكس** من بين يدي **ضَبَش** ولم يستطيعوا هذا إلا بعد مشقة وجهد واستعطاف ..

خرج **مُشَاكس** بصحبة **ضَبَش** وهو يجرُّ قدميه والدَّماء تسيلُ من وجهه بينما ينظرُ لصديقه ولسان حاله يقولُ:

[عدوٌ عاقلٌ خيرٌ من صَديق جَاهل].



حكايتك الثانية



ذئب في طريق عام





الحكاية الثانية

ذِئبٌ فِي طَرِيقٍ عَام



تَعلُو يَدي الْيسرَى إِلَى قُرب عَيني؛ لتَرَى السَّاعةَ، والتّي تُشير إِلَى الْواحدةِ صباحًا، وكنْتُ واقفًا أمامَ مَركز صيانة الْحَاسب الآلي الذّي أعملُ به حيثُ كَثرة الْعمل مُجهدًا..مَكدودًا ولمْ يخامرني أدنَى شكّ في أنني لا أودُّ الْعودة إلَى البيتِ، وداخلني إحساس بالانِطلاق..إلَى الشَّارع الذّي يكادُ يخلو من النّاس .

اندفعَتْ قدمَاي وانتابني منْ هَذا الْهدوء الْمُطبق ونَسَمات الْهواء الْعَليلة وهبّة الهَواء التَّي لفحَتْ وجهي انتعاشٌ وسعادةٌ ..فتمهلتُ وأَخذتُ أدندنُ بصوت خَافِت " **أقبلَ اللّيلُ يَا حَبيبي ونَاداني حنيني...** " وراقني الأمرُ حتّى أنني أحسستُ أنّي كنتُ علَى صَواب .

لا أثرَ لعَابري طَريق، ولا أثرَ لحياة اللّهم إلا بعض الأضواء المتناثرة التّي لاحتْ من نَوافذ مُتباعدة من تلك الأبنية الْعالية التَي علَى يميني، ويساري امتدّ بَصري عبرَ الشَّارع ومنْ وراءه فراغٌ شاسعٌ يلفّه وشاح من وحشة وظلمة ..

وعلَى الأضواء البَاهتة.. ووسطَ الْهدوء الْمخيم بدَا لي من صوتٍ أسمعه .. دقات حذاء امرأة. نعم..إنّه شبح امرأة تستحثّ الخطي وكأنها مقاتلٌ مقبل علي معركة مصيرية.

وبغريزة الذئب ازددت تمهلا وتدقيقًا ورُحتُ أرقبها من بعيد،ولم أستطعْ سوى تمييز ذلك فقط أنّها امرأة من مَعالمها وطَريقة سَيرها وصَوت حذائها..وكثيرًا ما كنْتُ أُحدد جمالَ المرأة من تناسق معالمها وطريقة سيرها ، ولم يخدعاني إلا في القليل النّادر.. ولقدْ كَانَتْ برغم خطواتها الْمسرعة إلا إنَّها مَوجودٌ لَطيفٌ يَستحقّ الرُّؤية أو ربما أكثر..

اقتربَتْ من مكان تواجدي شيئًا فشيئًا حتى إنّه لم يبقَ بينها وبيني سوَى مسَافة قصيرَة لكنّها لا تمنحني رؤيتها بدقة وتمحيص..

أَنَرتُ المصباحَ الخارجي للمركز فانزعجَتْ وغطَتْ وجهها بيديها..وأسرعَتْ الخطى كي تخرجَ من نطاق الضّوء غير عَابئة بي ولا بما فعلتُ وأكملَتْ سيرها بنفس الجدّية والإصرار ولم تلتفَتْ حولها.

لمْ أحاولْ التَّوقف عن التّرقب لمعالمها فلقد كانت المدة التّي سطعَ فيها الضّوء علي وجهها كافية لأن استوضح معالمها ولم يكنْ بها ما يُغريني ويُرضي غاية الذّئب بداخلي بلْ كانت شاحبةَ الوجه،غائرة العين، نحيفة الجسد واستطعتُ أنْ أُميّزَ منها أنّها قد تخطتْ عقدها الثالث بقليل..ودفعتني غريزة الذّئب أن أتابعها إلا أنّ الكسلَ والإرهاقَ دفعاني للتّمتع بالنّسمات الهادئة وجو اللّيل السّاحر وأكملْتُ دَندنتي.

وانطلقتُ مُستمتعًا بصوتي الْقبيح في أغنيتي "**وسَرت ذكراكَ طيفًا..هامَ في بحرِ ظنوني**" وأثناء استمتاعي وجدْتُ نفسَ الشّبح بخطواته المهرولة ومشيته الجادة الصّارمة وسط الهدوء والعُزلة تعودُ بعد أن مرّت دقائق معدودات ..

وأدهشني أنْ أرَى تلكَ المرأةَ لمْ تزلْ في سيرها وكأنّها تسيرُ بلا وجهة محددة..وكنْتُ أتوقعُ أنْ تختفي في إحدَى الْبنايات الْمجاورة لكنّها لمْ تفعلْ..ولم يكنْ يبدو منْ طريقة سَيرها إنّها امرأةٌ ممن تبتغي صيدًا أو أنّها تمارسُ نوعَا من الرّياضة فلا ملابسها تؤهلها لذلك ولا الوقت يسمحُ بذلك .

ومرة أخرى تولدَت بداخلي رغبةُ الذّئب التّي استترتْ منذ قليل..ثم أنّ حبّ الفضول والرّغبة الجامحة في معرفة حقيقتها قد دفعاني إليها دفعًا..وبلا خطة موضوعة أوتفكير مرتب أوهدف واضح نزلت رصيف المركز وقلْت لها بلهجة حادة وأسلوب مختصر:

- تفضلي ...

راحت تتفرس المرأة في ملامحي التّي بدتْ واضحةً من ذلك الضّوء الذّي انعكسَ على وجهي من جراء مصباح مدخل المركز. وأخذت أعصرُ عقلي عصرًا كي يمنحني خُطّة ملائمة إذا ما تمنعت أو صدت..أوإذا ما وجهت إليّ كلمات توبيخ وسبّ .

لكن فاجأتني المرأة مفاجأة ضاعت معها كل خططي.. وكل ما ألحت به جوارحي تجاه عقلي أن يهبني ما أردته.. وما أعددته من ترتيب واستعداد.. إذ أنّها في ثوانٍ معدودة هرعت إلى داخل المركز دون تغيير في ملامحها أو تحريك لشفاه..أسرعت تجاه الحمام .. لم تكتمل دقيقة إلا وقت وخرجت تجاه مقعد .. أخذت تجلس عليه وكأن جسدها الحادّ ينهار على ذلك المقعد.

ساد الصمت فيما بيننا إلا صوت أنفاسها التي بدت مسموعة واضحة كجواد في سباق.

توجهت تجاه مطبخي لأجلب لها كوبا من الماء .. قدمته إليها وكلانا يسوده الصمت ..لا ننظر لشيئ بقدر أننا نهرب من النظر أحدنا للآخر.

رُحْتُ أُحادثُ نفسي لابد أن أنطقَ.. أن أتحدثَ.. لابد من تمهيد.. ألست أنا الذّئب وصاحب دعوتها إلي مركزي ؟

وكانت أقرب الكلمات التي ساقها الذهن إلى لساني هي كلمات الترحيب..قلتها لكي أستعيد لنفسي رباط جأشي وتعود إلي روحي المرحة المغازلة .. فقلت:

- مساء الخير .. أقصد صباح الخير.
- واحد .. كلاهما واحد.. مساء.. صباح كلاهما واحد..

أدركتُ في خلجات النفس من قَولتها أنّها في معاناة.. فمن يرى الصباح والمساء واحدا فهو في معاناة حقيقية.

ولم أجد بها ما يدفعني إلي الغزل الصريح المباغت واستترت بداخلي لذة الصياد ورغبة الذئب وتغلبت عليّ رغبة الفضول الذي يدفعه دفعًا..ولم أشأ أن يلوحَ مني تغزلي مصطنعًا متكلفا فوجدتني أقول لها :

- خيرٌ .. في مثل هذه الساعة تسيرين .. في طريق لا يشغله إلا بعض الضوء ونسمات من هواء ؟!

- أُحضر طعاما.

- (طعاما!!) .. وكادت أن تنفلت مني صيحة دهشة ، غالبت نفسي علي حبسها ، ولم يكن في مظهرها المحترم ولا في تلك الساعة المتأخرة من الليل ما يدفع سيدة مثلها لإحضار الطعام. ووجدتني أقول لها بلهجة غير المُصدق :

- طعام الآن ؟؟

- نعم الآن لم أجد شيئاً أتناوله.

- ألم تكوني علي علم مُسبق بفراغ ثلاجتك من الطعام ؟

- لم أكن أدرك أن منزلي ليس به طعام إلا حين عودتي.

- وأين هذا المنزل ؟

- قريبًا من هنا ..ثم أنني لا ألتفت لهذه الأشياء غالبا إلا حين عودتي.

- لم ألاحظ يوما أنك جارتنا؟!

- طبيعة عملي تجعلني أعود في مثل هذه الساعة .. غير أني لا أختلط بالناس.

مخلوقة تثير العجب ! وما يثير الدهشة أكثر ردها!!

ويثير دهشتي حينما تحولت نفسي بعد أن تغيرت من ذئب.. مغازل لمحقق يسأل ويتساءل ويفترض فرضيات ربما كانت حقيقة وربما كانت المرأة هي المحقة، وإكمالا لموجات الأسئلة التي تتلاطم بداخلي وجدتني أقول لها :

- وإن كان الأمر كما تدعين فلما لم ترسلي غيرك في مثل تلك الساعة ليأتيكِ بطعام ؟؟

فقالت وقد نفد صبرها:

- لعدم وجود غيري في المنزل.

فكان وقع ردها وقعا جعل السعادة تفيض بين جنبات الذئب فيضا ، هي إذن وحدها في منزلها..أو على الأقل وحدها الليلة .. لن يسأل عنها أحد .. يمكنني الذهاب معها إلي حيث دارها أو أنها تبقى!! .. كل ما عليّ فعله الآن أن أبحث عن مكان آمن نبتاع منه العشاء..

- هيا نبتاع لك طعما.. أقصد طعاما.

لكنها بادرتني قائلة :

- سلامة عينك .. ألا ترى تلك الحقائب .. فقد ابتعت طعاما من ذلك الحانوت نهاية الشارع.

فقلت لها متعجبا:

- عفوا ليس من عادتي النظر لحقائب الآخرين.

أخذت بطرف عينها تنظر للحقائب وكأنها تتلهف لتناول ما فيها لسدّ جوعها، ثم نظرت لي وسألتني:

- ما طبيعة عملك ؟ّ

- صيانة أجهزة الحاسب وربط شبكات ومبيعات أدوات الحاسب.

- لم ألاحظ ذلك .. خير! .. الانترنت عندي فيه مشكلة.

وكأنها أعطتني مفتاحا لتنفيذ خطة الذئب فما زال يدفعني ليحيط فريسته، فبادرتها قائلا :

- سأصلح لك تلك المشكلة إن أردتِ.

- غدًا إن شاء الله.

هبت واقفة تحمل حقائبها .. قائلة :

- تصبح على خير.

- اسمحي لي أن أحمل حقائبك لأوصلك لدارك وأعرف موضعه.

سرتُ معها في الاتجاه الذّي أشارتْ إليه وفي نهاية الشارع على بعد خمس عشرة بناية من مركزي كان بالفعل دارها..سارت بجواري لم تعد أنفاسها تتلاحق ولانظراتها مرتابة ولاحائرة

سرت في اتجاه نهاية الشارع الواسع الرحب الذي يكون خاليًا تمامًا في هذا الوقت المتأخر من الليل وقطعته حتي آخره وإذ بي أجدها شاردة.. فقلت لها مستدرجا وحتي أردها من شرودها:

- أتقيمن في دارك وحدك.؟

- أجل.

- ألست متزوجة ؟

- تزوجت ولم يحالفني الحظ وتزوجت أخرى وكأني غير متزوجة!!...وكأن الزواج عندي من الأحداث الطارئة التي ما أن تحلّ حتي ترحل.

ثارت في نفسي تساؤلات عدة أخذت تتنافس في الظهور؛ لإشباع غريزة الفضول وتوارت معها غريزة الذئب

- أليس لك أهل ؟

- لي ..ولكني أعمل في إحدى المراكز الطبية الشهيرة وأعود في وقت متأخر وربما أعود في مرات عديدة مخمورة.. فلم أشأ أن أكون سببا في إحداث حرج أو أن أكون علة في أن يذكرهم الناس بسوء.

علي ما يبدو أن الأمر قد بات سهلا هينا للغاية...هي وحدها بالبيت. وتعود أحيانا ثملة .. لم أرَ فريسة هينة كهذه من قبل..ولكن المشكلة لم تكن تُحلّ حتي تتعقد فلم تحرك المرأة فيَّ أي جارحة ولم تثرني وكنت أعول علي تلاصقنا في السير وقربها مني فلم يزيدني ذلك إلا شفقة عليها إذا بدا ليّ عن قرب هزالها الواضح وشحوب وجهها الذي يشبه إلي حدّ بعيد شحوب الموتي الأحياء "الزومبي"، ومع

ذلك وبدافع العناد والإصرار وإكمالا للمغامرة التي بدأتها قلت لها فجأة:

- ألا تصعدي للبيت ؟

فقالت وبلهجة مستسلمة:

- كما تحب.

وما هي إلا ثوانٍ معدودة وجدتها تلملم اللفائف بين يديها وتستعد للصعود. فقلت لها :

- دعيني أحمل عنك.

- لا عليك فالأمر ليس صعبًا.

- هل تمانعين في حمل الحقائب والصعود معكَ ؟؟

فأطرقت برأسها وأخذت تذهب في رحلة شرود وكأن كلماتي قد أفقدتها الوعي فأوشكت أن تتهاوَى كمصارع تلقي ضربة قاضية .. ثم لملمت أشتاتها وقالت:

- أتعي ما تقوله ؟

- بكل تأكيد.

- أخاف أن يشاهدنا أحد فيتحدث عنا.. فيسوء الأمر وتسوء سمعتي بين الناس.. ولكن انتظر هنا وسأرى إذا ما كان البواب نائمًا والطريق خالٍ.. حينها سأرسل لك ضوءًا من هاتفي مرتين عبر تلك النافذة..

- أيّ نافذة تقصدين؟!

- أترى تلك النافذة ؟! - وأشارت لنافذة في أعلي البناية - سأكون هناك في الأعلي.

فقلت لها:

- وإن لم أرَ ضوء مصباح هاتفك ؟!

- عليك بالانصراف حالا.

وقفت بجوار سيارة تركن جانبا أنظر للأعلى في انتظار الضوء..أي أحمق جعل نفسه بين رحا مغامرة مجهولة ؟! ولِمَ أصرّ علي أن أزجّ بها في أمر قد يكون برمته أكذوبة كبيرة...؟! فلربما كانت المرأة هي الذئب لا أنا ؟! ولربما

كان ذلك البيت كمينا تستدرج فيه الساذجين من أمثالي.. وربما كان معها زوجها بالأعلى ينتظر صعودي؟ فلاأعود إلا وقد خسرت كرامتي وأموالي.. وربما يفتضح الأمر وأصبح علكة في أفواه البعيد والقريب من الجيران والأقارب والزملاء والأصحاب يذكرون قصتي تندرًا..ولِمَ الإصرار علي البقاء والمرأة لم تُثر فيّ جارحة أو فؤادا ؟! ولكن ما بال تفكيري لا سلطان له علي أفعالي؟! لاشيئ من حزمة التفكير قد غيرت شيئا في الأمر..بل وقفت أنتظر الضوء.

فجأة أحسست باضطراب لذيذ ونشوة ظاهرة .. وتوتر في أعصابي.. إذ بعد وقت أرسلت النافذة الضوء ثم خبا..ثم عاد يلمع من جديد .. نافذة في السماء.. وميض نور.. لا شك مغامرة تستحق أن تُعاش..أيا كانت المرأة التي سأغامر من أجلها ..

سارعت زمنًا ومكانًا..تخطيت حاجز البوابة وعدوت درجًا تعالت فيه أنفاسي حتى غالبت

دقات قلبي أنفاسي إلى أن وصلت أخر الأدوار.. ناظرًا لا وجود لأحد، وعندئذ شعرت بالحيرة فليس من الإمكان أن أطرق بابًا في مثل ذلك الوقت وإلا يفتضح الأمر وتخيب الغاية، وفي تلك الأثناء سمعت همسا بالأعلى.

نظرت فوجدتها تطلّ من فتحة صغيرة بسطح المنزل.. ودققت النظر فوجدت سُلما صغيرًا يودي بي لحيث تنظر..فصعدته لأجد في نهايته حجرة صغيرة..شعرت بشيء من الخزي وأنا أنظرُ للحجرة المتواضعة..حاولت ستر خيبتي بابتسامة مفتعلة..

رمقتني بعين تتفحصني..تستكشفني، ثم قالتْ:

– آسفة.. المكان لا يليقُ.

فجاهدت نفسي كي أضع خزيّ جانبا وأنْ يبدو مرحى أصيلاً غير مفتعل وقلت لها:

– بل إنّه مكانٌ شاعريٌ لطيفٌ.

فضحكَتْ سَاخِرةً وهي تتمتمُ:

- بلْ أنتَ المجاملُ اللّطيفُ.

استأذنت واتجهت لمدخل صغير يفضي لمطبخ لا يتسع لفردين معا علي مدخله وضعت ستارة سوداء بدت عليها الأوساخ ظاهرة بوضوح ، وعلي جانبه الآخر دورة مياه ..أما الحجرة نفسها فيتوسطها سرير صغير فراشه مبعثر في غير ترتيب..وضعت عليه وسادة بالية،عليها علامات الرأس بقذارتها الدهنية. كانت الحجرة تنمّ عن فوضى..ملابس بأشكال مختلفة متناثرة.

أعقاب سجائر وزجاجات فارغة.. في وسط الحجرة دولاب صغير تخرج أحشاؤه، وبجواره مشجب يحمل ملابس نسائية صغيرة. وتحت المقعد الذي أجلس عليه سجادة بالية. ووسط كل تلك الفوضى وجدت أخيرا شيئا وحيدا مُعتنى به منضدة صغيرة رُصّت عليها بعض الكتب في عناية وترتيب، ولم أجد مبررا لوجود الكتب في حجرة كتلك فلم أتملك نفسي إلا وأنا أقول لها :

- على ما يبدو أنك كثيرة الإطلاع والقراءة.

- القراءة عشقي وملاذي..خلاني..أصدقائي الذين لا أملهم ولا يملوني.

عادت حاملة أطباقا من مطبخها وضعت عليها ما أحضرته من طعام ثم مدّت يدها للدولاب الصغير فأخرجت زجاجة ويسكي كاد نصفها الثاني أن ينتهي ونظرت إليّ بابتسامتها وقالت:

- لعلك تسمح في مناصفتي الزجاجة..أنا في مسيس الحاجة لها كلها، لكني سأتنازل لك عن نصف ما تبقى.

- أنا لا أشربُ.

- ليسَ معقولا.

- لِمَ ؟!

- مغازلا..ذئبا مثلك يتبع النساء لخدورهن ولا يشرب ..خذ لك كأسا .

- حقيقة لا أشرب.

- إذن أصنع لك فنجانا من القهوة.

- لا ترهقي نفسك.

وضعت أطباق الطعام وبجواره الزجاجة ثم انحنت لتلتقط قميص نوم أسود شفاف وروب أحمر حريري كانا بجوار السرير على الأرض ثم قالت وهي تحاول أن تزيل عنها الحرج :

- سأبدل ملابسي وأعود .

فقلت لها محاولا محو الحرج عنها :

- افعلي ما يحلو لكِ .

يبدو من منظر الغرفة المنفرّ وتلك القذارة قد نالا من نفسي فلم تعد بداخلي صفة الذئب القادم علي صيد ثمين.

تمنيت الهروب..نعم الهروب وحسب، ثم إنها منذ البداية لم تكن تثيرني وكل ما جعلني أفعل ما فعلت هو روح المغامرة ليس إلا .

عادت مسرعة بعد تبديل الثياب،أخذت تلتهم الطعام ثم راحت تفرغ كأسًا تلو كأسٍ لتملأ به جبها؛ لتفعل بها الخمر أفاعيلها فأخذت تضحك

وتقهقه وسالت الكلمات من بين شفتيها كالسيل الجارف .

فجأة تركت مقعدها ونزلت عند قدمي وأمسكت بيدي وقربَتْها من شفتيها وأحسست بأنفاسها الحارة علي يدي فسحبتها برفق كي لا أجرح مشاعرها.

بدأت أفكر في مهرب وهممت بالوقوف متعللا بأنني قد تأخرت وعليّ الانصراف .

فوجدتها تنتفض وكأنما قد لسعتها حيّة قائلة :

– تنصرف...لِمَ ؟!

ثم راحت تبكي وتئن والخمرة لا زالت تجعلها تترنح فلم أجد مهربا من البقاء كارها.. وفاجأتني بصوت يقاطعه البكاء :

– ألم تذق طعم الحب ؟؟

– ذقته مرارا.

- مرارا !! أنت إذن لم تذقه بعد..الحب لا يُذاق إلا مرة واحدة .إما أن يودي بك قتيلا أو يبعثك حياً .

- وماذا صنع بكِ أنتِ ؟!

- أرداني قتيلة كما تري، فلم يدع لي إلا حطاما تراه الآن أمامك.

خشيت أن تدور الخمر أكثر مما تدور برأسها فقلت مواسيا :

- أنتِ في خير حال ..هوني عليكِ.

ووجدتها تطلق من صدرها زفرة حارة وتنهيدة طويلة وقالت :

- سأقصّ لك قصتي ولك الحكم..

أحسست أن طريق الهرب يبتعد ، وشعوري بالشفقة يجبرني علي البقاء والاستماع لها حتي لا أقسو على ذلك الحطام فأنهي البقية الباقية منها..ورمقتني بنظرة طويلة وراحت تحكي:

– في شارع الهرم كانت أسرتينا تقطنُ في منزل واحد..وكانت تربطهما صداقة قديمة وود دائم..كنت في السابعة عشرة من عمري، كنت أراه دائمًا أمامي..أصوره كفارس سيحملني علي جواد أبيض يذهب بنا لمكان لا يعلمه غيرنا كنت أعشقه عشقًا لو تقاسمه العالم لفاض عنه ولكنه لم يكن ينتبه حتي لمجرد وجودي ..

وذات يوم زفت والدتي بشري لي جعلتني في نشوة..إذ بشرتني بخبر الخطبة وأن أمه طلبت ذلك ولم يبق سوى ترتيبات الخطوبة..ولكن سرعان ما تبددت فرحتي حينما أعلن هو عن سفره المفاجئ لإحدى الدول العربية للعمل وانقطعت أخباره من وقتها..وتركني ميته وإن بدوت للناس علي قيد الحياة.

ثم بعد فترة تقدم زوجي الآن لخطبتي وبعد عام من الزواج تركني وهاجر للعمل كذلك، وكأن الهجرة أصبحت أمل الإنسان حتى أنها أصبحت " النداهة " تخطفه من أهله ولم يعد منذ

خمسة أعوام.. تركني لأتحمل مسئولية نفسي، ولأكون ميتة حية مرة أخرى.

حينما نطقت قولتها انتفضْتُ من مجلسي لتعود ذاكرتي للوراء..إلي حيث سنوات بعيدة تذكرت وجه تلك الفتاة البريء وقسمات وجهها الرّائعة، وملامحها الهادئة.

إني لأتذكر دارنا ودارهم ملتصقين في إحدى القرى..بل أتذكر كل شيء وكأنّه حدثَ بالأمس.. وهيمنتْ فكرة العتاب للنفس كيفية انتهاك حرمة قد تصيبني يوما ما.

وهنا أمسكتْ يدي لتقبلها من جديد فانتفضْتُ واقفًا وسحبتُ يدي برفق وقلت لها مودعًا :

- الوقت تأخر والفجر يوشك على البزوغ.. سأعود مرة أخرى.

فوجدتها تقول ساخرةً دامعةً عيناها :

-تعود!! ألم تقل هذا منذ ما يقرب من عشرين عاما..هل بقي في العمر عشرون عاما أخرى؟!

لا عليك..الحبُ لا يُنتزع بالقوة...بل يُمنح عن طيب خاطر.

وانصرفتُ عنها شبه ميت....ما أسوأها ليلةً، ليلة باهظة الثمن!!



حكايتك الثالثة

نادل على النيل



الحكاية الثالثة





أثناء تواجدي في أحدِ الأندية التّي تقعُ علَى النّيل، وأثناء الانتشاء ببعض الثّواني منْ الرَّاحة حيثُ كنت أكتبُ بعضَ الصَّفحات علَى جهاز اللابتوب خاصتي، وأنا أستنشقُ بعضَ الهواء رأيتُ ذلكَ الشَّابُ يُسرعُ في خطواته، وقدْ حَاصرته صَيحات لملمتْ أصنافًا عدة منْ السَّباب واللّعن علَى التَّأخير والكثير الكثير.. منْ التَّهديد والْوعيد.

قَدْ وصلَ عملَه كعادته مُتأخرًا ، ولكنّه كانَ لا يهتمُ بما يُقالُ حيثُ يعلمُ جيدًا أنّها تهديداتٌ لا تُنفذُ؛ كما يعلمُ أنَّ مديرَه صاحبَ ذلكَ الصَّوت يُدركُ سببَ تأخيرِه بُعد سكنه عن مكان الْعمل وصُعوبة

الْمواصلات والْمعارك التّي يخوضَها الإنسانُ في زحامِ الْمرورِ واختناقاتِ العبورِ.

رأيتُه يرتدي زيًّا خاصًّا بالمكان؛ فهو يعملُ نادلا (جرسون) فى هذا النّادي الشّهير فى وسط القَاهرة .

أحببتُ أنْ أعرفَ سببَ عَدم اهتمَامه بمَا هدد به مديرُ المكان، وكذلكَ مشَاعره من ذَلكَ الْوعيد فناديتُه :

– عصَام ..

أقبلَ كمَا هي عادتُه الابتسامة الْمرسومة عَلَى وجْهِه تُخالطها بعضًا من الْحنق والضَّيق.

- نعم ، يا أستاذُ . بمَ تَأمرنِي ؟!.
- كَيفَ حَالك؟! أَحتَاجُ كُوبٍ مِن الْمَاء ... ولَيستْ زَجاجةُ مياه معدنيةَ!!!..وكوب شاي ...
- حَاضر يا أستاذُ.

- ما حكايتك؟!

- أنا لا أحبُّ عملي لأنّه بالطبع ــ كما هو حال كل شابّ ــ ليس فى مجال دراستى. .تخرجت منذ سنوات خمس، وحاصل على شهادة بتقدير جيد جدا فى الفلسفة ، وكما هو الحالُ كانت ابنةُ الدّكتور في الكلية أحقّ بالحصول علَى وظيفة (المعيد)، ومثل غالبية جيلى لم تنفعنى الشّهادة ولا التّفوق فقررتُ العمل فى أى مجالٍ آخر .

- وهذا الذّي يصيحُ يتجنبُ مُجادَلتى أو مناقشتى لأنّه يعلم اختصاصى حتّى إنّه أطلقَ علَيّ (الفيلسوف) لأنَّي كنتُ أردُّ عليه بإجابات فلسفية لا يفهمها وهذه كانتْ المنفعة الوحيدة من دراستى.. أعملُ ليلا وأنهي عملى فجرًا .

وبمجرد أنّ أنهَى جملته.. حتّى وجدْتُ صوتَ المدير يناديه:

–عصام...عصام.. يا عصاااام !

– نعم يا باااااشا بم تأمر!

– فى اتنين لسه داخلين روح شوف طلباتهم.

– عنيا..بس أنت مكشر ليه؟ فكها ربك يفكها ، والتكشيرة تربي تجاعيد في الوش.

– وده مين اللى قال كدة بقى إن شاء الله؟

– ده حكيم صينى أو يابانى مش فاكر اسمه إيه هما كلهم شبه بعض اسمه....

–مش عايز أعرف بلا حكيم صينى ولا ازاز.

–ازاز..ولا كريستال هههههههه حلوة يا باشا منك.

–يا ابنى روح بقى متعصبنيش.

–حاضر يا باشا بس والنّبى اضحك بتبقى شبه حسين فهمى لما بتضحك على فكرة.

–هههه الله يجازيك بالّرغم من تأخيرك كلّ يوم ولماضتك دى بس بحبك ياض.

-بتحبني!!.. وسايبنى أتعذب طول المدة دى مصارحتتيش ليه؟

-يلا يا ابن ال....

-خلاص من غير شتيمة أنا رايح.

وهنا رأيته يمسك الصّينية وبمنتهى النّشاط والحيوية يتنقل بين الطّاولات،وعلَى وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ .. يمزحُ معَ كثير منْ رواد النّادِي ممّا جَعله محبوبًا من الْجميع وكَانت علاقتُه بزملائه طيبةٌ جدًا. كانتْ السَّاعةُ قدْ تعدت الْعَاشرة ليلا بدقائق، وخَفَّتْ الْحَركةُ دَاخل الْمطعم فوجدْتُها فرصةً مناسبةً؛ كَي أَستكملَ مَعه الْحوارَ وبقية حِكَايته.

ولَم تمرّ دقائقُ حتَّى استمعْنا إلَى صَوت الْمُدير مرةً أخرَى يُنادي :

-عصام .. عصام .. عصام..!!

-أيوه يا باشا

-كُنْت فين؟

–كنت باتكلم مع الأستاذ .

–طب فى اتنين لسه داخلين وأديلهم عشر دقايق محدش عبرهم روح لَأَحْسَن يمشوا.

–ما يمشوا فى ....

–نعم؟!!! بتقول إيه؟ !!!

–ولا حاجة يا باشا تحت أمرك وأمرهم.

رأيتَه علَى عَكْسِ طبيعته يَذْهبُ إليهما وهو يُتمتمُ بلعناتٍ منْ دَاخله ، فقدْ كانَ يُريدُ إِكمالَ سيجارته وهو يتحدثُ معي .

وبَعد أنْ اقتربَ منْ الطَّاولة التّى جلسَا إليها فوجدْتُ شابًا أنيقًا يبدُو أنَّه ثَرِيٌ وفتاةً يبدُو من ملابسها أنَّها منْ الطَّبقة الْمتوسطة، كانَا جَالسين متشابكِي الأيدى وعندمَا اقتربَ منهمَا ورَأَى وجوههما تَسَمّرَ مكانه وشعرَ ببرودة تسرِي فى جسده.

يبدُو وكأنَّه يعرفُ أحدهما حيثُ سمعْته متمتًا مندهشًا حينمَا قَال :

– إنّها هى (أمل) نعم هى أملُ .

واستمرَّ في الْحديث إلَى نفسه :

– حبّى الأول والأخير زميلة الدّراسة وقصة حب فترة الجامعة، يا الله إيه الصّدفة دي؟ مشفتهاش منذ ثلاثة أعوام.. منذ آخر لقاء بيننا منذ أن افترقنا ومَنْ هذا الذّى يجلسُ معها؟

هل حبيبها؟ أم خطيبها؟ أم يكون زوجها؟ ماذا أفعلُ؟

هل أذهبُ أم لا؟

باغتَه الجالسُ معها ونَادى عليه:

– عصام...عصام..

– تعجبَ عصامُ قائلا لنفسه :إنّه يعرفُ اسمى مَنْ يكونُ هذَا ؟!

ثُمَّ أخذَ يتفحصُ وجهَه وأصابَه ذهولا معَ حريق نشبَ بداخلِه و شُعور بالإهانة والانكسار إنّه (ثَروت) كانَ زميلَ دراسته، مكروهًا بينَ

زملائه ويلقبونه بالثّرى المتعجرف، يتباهى بثرائه وسيارته الغالية .

هل جاءَ إلى هنا لكى يضايقنى أم ليشمت بى؟!

فى الماضى حاول كثيرا مضايقتى ولكنه لم يفلح كنت أصفعه دائمًا بردودى و أسخر منه أمام الزملاء وكان الجميع يعلم أنه يكرهنى؛ لأنه كان يريدها وكان دائما ما يلمح لها بذلك وكانت توبخه دائما .

لكن كل هذا أصبح ماضيا وأنا الآن أمام تحدى هل سيكسرنى؟ هل سيصفى حسابه الآن؟ لا لن أعطيه الفرصة لذلك....

استمعت للحديث الذي دار بينهما حيث كانت نبرة الصوت عالية..

- ثروت؟ يا أهلا وسهلا إيه الصُّدف السعيدة دى؟

- ازيك يا عصام عامل إيه؟

- الحمد لله أنا تمام.. أنت إيه أخبارك؟

– أنا كويس. إيه ده أنت شغال هنا؟

– آه يا سيدى ما أنت عارف الفلسفة مبتأكلش عيش فقلت أجرب حاجه تانيه...إزيك يا أمل عاملة إيه؟

–أنا الحمد لله كويسه.

قالتها بصوت متقطع فعلمت أنها لا تعلم بوجودى فى المكان، كان ذلك يظهر على وجهها لقد صدمت لرؤيتى أما هو فيعلم جيدا أنى أعمل هنا وقد أتى بها ليضايقنى ويجعلها ترانى هكذا ولكنى لن أجعله يكسرنى.....

– بس أنا بجد مبسوط إنى شوفتكم .

– بس إيه ده يا عصام؟ آخرتها تشتغل جرسون؟

–هأعمل إيه بقى دى حكمة ربنا مفيش حد بياخد كل حاجه لازم يكون فى حاجة ناقصة.. وماله الجرسون مش بنيآدم برضه؟!

– بس أنا مفيش حاجة نقصانى أنا عندى كل حاجة.

– متهيألك.. كلامك ده دليل إنك معندكش أى حاجة غير الفلوس ودى طبعا حاجة معروفه.

– طب ما الفلوس كل حاجة.

– متقولش كده.. إنت راجل مثقف والكلام ده ميقولوش غير الجاهلين.

– فلسفة فارغة.. طب ما أنت هو شهادتك عملتلك ايه ؟ شغال جرسون زى أى حد.

–لا متقولش كده يا ثروت شهادتى نفعتنى فى حاجات كتير قوى.

–حاجات زى إيه مثلا؟

– إنى أوقف أى حد عند حده وأعرّف الجاهل بجهله.

كنت أعلم إن هذه الكلمة ستضايقه وتذكره بأيام الجامعة...

احمرّ وجهه غيظًا ورأيتُ فى عينيه غِلاً

ولم يخضْ معى أكثر فقام بتغيير لهجته.....

– طب مش هانشرب حاجه ولا إيه؟

– آه أنا أسف على كتر كلامى تشرب إيه؟

– إنت راجل مثقف Ladies First

–آه ماشى.. فاتتنى دى. تشربى إيه يا أمل؟

–أى عصير موجود.

– يبقى المنجة.. أنا عارف إنك بتحبى المنجة.

تعمدت قول هذا حتى أضايقه أكثر ، وأعلم أن ذلك سيضايقها أيضا...

– وأنت يا ثروت تشرب إيه؟

– نسكافيه وياريت بسرعة عشان مستعجلين.

– أوكيه دقيقتين بس.. تحت أمركم.

شعرت باختناق بداخلى رغم أنى أعلم أنى هزمته مثل الماضى ولكنى أشعر بالهزيمة من داخلى رغم أنى لم أنسها ولكن كنت لا أتمنى أبدا رؤيتها ... زاد اختناقى عندما رأيتها مع ذلك المعتوه المتكبر، ألم يجد فتاه غيرها؟ أو

تعمد ذلك لكى ينال منى؟ وليكن سحقا له ولأمواله.

أتيت بما طلبوه ووضعته أمامهم وأنا مبتسم وقررت أن أعكر صفوهم..

–آه نسيت أباركلك يا ثروت .

–تباركلى؟ على إيه؟

– على الخطوبة مش أنتم مخطوبين؟ ولا تكونوا عملتوها واتجوزتم؟

– آه..آه..مخطوبين طبعا .

– كنت هازعل لو كنتم اتجوزتمومعزمتونيش

– لا متخافش هانعزمك أكيد.

– عالعموم ألف مبروك وربنا يتمم بخير.

– متشكر يا عصام وعقبالك .

– عقبالى إيه ؟ أنا اتجوزت من ٦ شهور

– بجد ؟ اتجوزت؟

- آه بس للأسف معزمتش حد عشان عملت الفرح عالضيق عشان حمايا كان بعافية شوية.

- طيب يا سيدى ألف ألف مبروك. عشر دقايق وابعت الحساب عشان مستعجلين.

-حساب إيه يا راااااااجل ؟!! لا المرة دى على حسابى.

-لا مش هاينفع المكان ده غالى والحساب هايبقى تقيل عليك .

-يا راجل سيبها لله طب عليا الطلاق ما أنت محاسب خلاص أنا حلفت.

-ماشى يا عصام متشكرين.

-طب اسيبكم مع بعض وفرصه سعيدة.

ثم رأيته يتركهما ويبدو عليه أنه يكمل عمله رغم ضعفه وألمه حيث لا يريد أن يشعر

بالهزيمة حتى بينه وبين نفسه، وحينئذ أخذت أنصرف وتركت المكان على أمل معرفة ما سيحدث منه في يوم غد، حيث سوف أكرر الحضور في اليوم الثاني لأستكمل ما أكتبه في ذلك الجو اللطيف القريب من النيل.

أما عصام فأخذ يحدث نفسه :

– أنا أقوى منه ومنها ومن الظروف التى جعلتنى هكذا ،سأظل فخورا بنفسى مهما حدث لن أسقط أمام أى حدث مهما كان، أعمل فى غير مجال دراستى التى تفوقت فيها هذا عادى جدا مثل معظم من هم فى سنى، حيث لا توجد وظائف إلا للمعارف وذوي المناصب الكبرى .

لم تنجح قصة حب، هذا أيضًا عادى سأجد من تحبنى بصدق وتظل جانبى.. لن أسقط ، سأظل أضحك فى وجه من يرانى فاشلا أو فقيرا فأنا غنى بقناعتى.. بثقافتى.. بشخصيتى المحبوبة.

سكت قليلا ثم ابتسمت سخرية على نفسى لأنى غير مقتنع تماما بما أقوله .

فأنا مهزوم فى داخلى لكنى لا أظهر ذلك، أظهر أمام الناس أنى سعيد بحياتى وبكفاحى وألعن ذلك بداخلى فما فائدة تعليمى وشهادتى التى استنزفت مجهودى ومالى ووقت ليس بالقليل من عمرى وفتاة أحببتها وأحبتنى ولكن لفقرى لم أستطع الزواج بها .

حياة غير منظمة وغير عادلة ولكن ذلك طبيعى فى بلدى فمثلى مثل الكثير من شباب بلدى... صراع يدور داخل رأسى لكنى محتفظ بابتسامتى عند تعاملى مع زبائن النادي حتى انتهى وقت عملى فى الثالثة صباحا غادرت المطعم وقررت أن أتمشى قليلا على كورنيش النيل الذى يحمل الكثير من المشاعر لكثير من الناس بين قصص حب وألم فراق وبين انتظار ونار اشتياق وقفت أنظر إلى النيل وإلى ظلام

الليل حتى هدأت ثورتى، أشعلت سيجارة واستمتعت بنفخ دخانها فى الهواء حتى سمعت صوت هاتفى، نظرت إلى شاشته فوجدت رقم غير مسجل:

- ألو السلام عليكم .

- وعليكم السلام ...ازيك يا عصام

- مين؟! أمل؟!

- أيوه أمل إنت نسيت صوتى؟

- لا منسيتش بس متوقعتش إنك تتصلى بيا

- أد كده مش عايز تكلمنى؟

- عايزه إيه يا أمل؟

- كنت عايزه أعرف انت اتجوزت بجد؟

- يهمك فى إيه تعرفى؟

- رد عليا وجاوبنى انت اتجوزت؟

- لا متجوزتش لسه بدور على بنت الحلال

- كنت متاكده إنك قلت كده عشان تغيظ ثروت أو يمكن تغيظنى .

- قولت كده عشان عارف إنه جاى عشان يضايقنى..عشان يعايرنى بفقرى ..

- على فكره احنا مش مخطوبين.

- عارف وميهمنيش اذا كنتم مخطوبين ولا لا

- ميهمكش تعرف حاجه عنى؟

- أيوه ميهمنيش أنا خلاص نسيتك

- نسيتنى ازاى؟ وانت لسه فاكر العصير .

- أمل ..انتى عايزة ايه منى؟

– عايزة أقولك إنى والله ما كنت أعرف إنك بتشتغل فى المكان ده وإلا عمرى ما كنت هادخله .

– عادى ولا يهمك بس انتى كنتى الكرباج اللى كان عايز يضربنى بيه بس للأسف بردوا معرفش

– عصام..انت ليه بتفكر بالطريقة دى؟

– عشان دى الحقيقة أنا طول عمرى وأنا بكرهه بس النهارده كرهتكم انتم الاتنين

– بس أنا لسه بحبك .

– انتى بتحبى الفلوس والعربية والشوبنج والهدايا والخروجات وأنا فقير عايز واحدة تستحملنى وأرجو إنك متتصليش تانى احنا طريقنا مختلف..سلام...

– عصام است...

أغلقت الهاتف ثم أكملت سيجارتى وأنا أضحك سخرية على نفسى وعليها.. لِمَ تحبنى ؟

أنا فقير وعليها أن تحبّ شاب ثرى فالأثرياء دائما يفوزون والفقراء دائما منهزمون .. لا وظيفة عالية.. لا حب.. لا يجب على الفقراء أن يدخلوا فى تجربة العشق أوحتى الحلم. فحتى أحلام الفقراء دائما ما تنتهى بصدمات.. ضحكتُ بصوت عال فهذا الكلام نتيجة دراسة الفلسفة لعنة الله عليها.

رميت سيجارتى بقوة ونفخت الدخان بغل شديد وقررت أن أذهب لكى أنام دون التفكير فى الغد وتمنيت ألا أحلم .

هكذا روى عصام لي ما حدث في اليوم التالي وجعلني أحلم أيضا بجنة ليس فيها تفرقة بين فقير وغني ، لا مجاملة و لا محاباة ، يسود فيها العدل و ينقضي منها الظلم، يشيع فيها



الأخضر والأبيض ، وينقضي منها اللون الأسود.

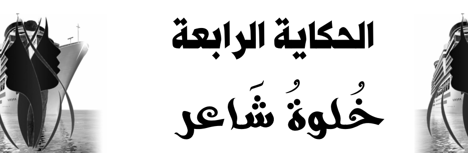
❖❖❖

حكايتك الرابعة



خلوة شاعر






الحكاية الرابعة

خُلوةُ شَاعر

إنه فصل الرّبيع الذي فيه تكتسي الطبيعة ثوب الجمال، ورداء الخضرة، ويبعث العطر الدافئ، ليس هذا فحسب بل يدفع الشعراء للاندماج مع الطبيعة .

خرج صاحبنا لعمله منتشيا بالعطر الرقراق، والنسيم الباعث للحركة والنشاط .

وصل إلى مقرّ عمله إحدى الصحف ينشر فيها مقالا أسبوعيا يطارد فيه الفساد.. يتحري الحقائق.. يقدم الحلول ..

يدخل إلى حجرة مكتبه وعلى صفي طُرْقَةٍ ينظر إليه الجميع في دهشة وانبهار إنه على غير عادته .. إنه يبتسم!!!

- صباح الخير يا أمنية، صباح الخير للجميع.

تُسارع لحجرة مكتبه إحدى زميلاته ومازالت ترتسم على وجهها علامات الدهشة والانبهار .

- صباح الخير يا شاعرنا ومؤلفنا.. خير اللهم اجعله خيرا.

- ماذا تقصدين يا آمال ؟!

- إنك تبتسم اليوم، ماذا حدث لعله خير.

- كيف لا أبتسم والجو اليوم بديع.

- بديع !! قفّل على كل المواضيع.

- هل تسخرين يا آمال؟!

- لا والله الأمر أننا لم نعهد منك هذه الابتسامة وهذا التفاؤل.. لم نعهد منك إلا الوجه المكفهر المقفر.

- يا آنستي العزيزة لقد أنجزت ديواني الجديد ليلة أمس وقد أسميته " لا فصال في المشاعر ".

- ابتسمت آمال قائلة : كنت سأسألك عن اسم الديوان ولكنك جاوبت عن سؤالي.

- قرأت في عينيك السؤال فأجبته.

- هل أصبحت قارئا للعيون؟!

- وقارئا للمشاعر _ أيضا _ يا آمال.

- إذن فبم أشعر يا حسن؟!!

- تريدين الاستماع لقصائد الديوان، وسأجيب بأن الزمان والمكان غير ملائمين، كما أنكِ تشعرين ضيقا يكاد ينطق من عينيكِ، وسأقول نفس القول .. لا المكان ولا الزمان غير ملائمين، هل توقعي صحيح.

- لا. فعلا أنت اليوم على غير عادتك خارق للعادة.

- ساد على وجها علامات الضيق .. تريد التحدث، لاحظ حسن ذلك مما دفعه إلى ملاحقتها بقوله :

– وسأطلب منك مكانا هادئا نقرأ فيه قصائدا من الديوان ؛ ولنستمع إلى سبب ضيقك.

– ليت يحدث ذلك يا حسن لأنني فعلا أشعر ضيقا، فلنخرج لمكان نرى فيه خضرة واتساعا.

– إذن بعد العمل فلنلبي طلبا لتلك الفتاة التي تعاني ضيقا.

انتهى يوم عمل شاق بما يحمله من أعباء، وقد قرر حسن في نفسه الخروج إلى المكان الملائم إنها القناطر الخيرية حيث جمال النيل الذي يتهادى بين شاطئيه والخضرة المنبسطة على مساحات شاسعة.

وصل الصديقان إلى نهاية رحلة الباخرة التي أقلتهما من " كوبري الجامعة " إلى حيث مكان النزهة،و ليستمع لمن يقول :

– " توكتك " يا أستاذ ؟

– نعم .. نعم .. اركبي يا آمال.

– إلى أين تريدان الذهاب ؟

– نريد الذهاب إلى الشلالات .

– آه . أحسنت الاختيار يا أستاذ.

هنا التقط سائق "التوكتك" تليفونه ليطلب رقما، ثم أجرى مكالمة عبر سماعة الأذن :

– والله. أنا في الطريق معي زبائن سأذهب بهم إلى الشلالات .

استمر حوار المكالمة ما يقرب من الربع ساعة بين " أيوه .. نعم .. حاضر ".

– إلى أين تذهب يا ريس، الطريق لا يأخذ كل هذا الوقت؟!!

– لا تقلق يا أستاذ الطريق مقفول وسرت من طريق آخر حول سجن القناطر.

– ولكن هذا الطريق طال فيه الوقت .

– لاتقلق يا أستاذ دقيقة واحدة وسنصل.

سار " التوكتك " بالصديقين وبالفعل بعد دقيقة وصل إلى منطقة الشلالات، وأخذ السائق يشير بيديه إلى أحد المراكب وحسن يتحدث لنفسه :

- فكرة رائعة نطوف بمركب في منطقة الشلالات ثم نعود وهذا أمر رائع، فمجملها ثلاثون جنيها وكبيرها خمسون، المهم الاستمتاع بذلك المنظر الرائع ..ثم العودة لنجلس في إحدى الحدائق أقرأ فيها بعض القصائد على آمال وحتى أستمع إلى ما تعاني منه آمال .

- شكرا يا ريس .. كم تريد؟

- لا أريد شيئًا.

- شكرا يا ريس ..لا يصح كم تريد؟!!!.

- والله العظيم لن أخذ شيئا .. إنكم ضيوفنا.. اتفضل يا أستاذ هذا المركب سيلبي طلبك.

قرر حسن أن يعطيه خمسة جنيهات وألقى بها على حجره، وهو يقول :

- شكرا لكرمك .. سلام عليكم.

اصطحب حسن آمال إلى ضفة النيل ليركب المركب..استقبلهما المراكبي وأخذ بيدي آمال ثم أخذ بيدي حسن ؛ ليصعدا إلى المركب.

جلس الصديقان في المركب تداعبهما الموجات وتؤرجحهما مع بعض من رذاذ الماء المنعش في جوٍّ لافح.

استمرّ تحرك المركب مدة عشر دقائق .. حتى وصل إلى باخرة تستقر على الجانب الآخر من النيل .. هنا يقول المراكبي :

- تفضل يا أستاذ .

- تفضل يا أستاذ .. ماذا تقول يا ريس ؟!

- يا أستاذ..من عملي علمت رغبتكما في الاستمتاع بوقتكما.. اتفضل يا أستاذ استمتع على تلك الباخرة التي ستلبي رغبتك.

- يا ريس أنا اتفقت معك على أن تعود بنا إلى حيث ركبنا مركبك.

- يا أستاذ تفضل .. ستدعو لي .

أفعال غريبة من سائق التوكتك .. وأغربها من المراكبي.. أخذت تثير الشكوك في نفس "حسن"، احتمل حسن النية الطيبة في قول المراكبي ..

نجلس هنا ساعة .. ثم نعود .. قد تكون فكرة رائعة .. ولكن لست مطمئنا .. هيا يآمال نجلس هنا ساعة .. وأرجو منك أن تعود لتعود بنا يا ريس.. كم تريد ؟!

- لا أريد شيئا يا أستاذ فأنا حسابي وصل .

- كيف وصل وأنا لم أدفع شيئا..؟! سأدفع لك عند العودة بنا.

لم يحسّ حسن بطمانينة من ردّ المراكبي .. إنه نفس قول سائق التوكتك.. ولكن لا أريد إفساد رحلتنا .

أخذ بيد آمال وصعد كل منهما لسطح الباخرة.. جلسا على مقعدين يتوسطهما منضدة دائرية تحمل آنية مليئة بالأزهار الحية التي يبدو من رائحتها أنها مقطوفة في وقتها .. يجوارهما سور خشبي مفرغ يطلّ على مياه النيل ..

أخذ حسن يخفف من وطأة الشكوك لديه - وهو يدرك جيدا أنها أصابت آمال أيضا ولكنها لا تريد أن تعبر عن ذلك - فشرع بالحديث قائلا:

– ها نحن بين الماء والهواء والوجه الحسن مع حسن.

آمال أخذت ترسم على وجها بسمة مصطنعة ثم قالت :

– أسمعنا يا شاعرنا قصائدك.

أخذ ينطق بقوله :

ما للإنسان حائر

يحيا في جُبٍّ غائر

أو يستتر خلف سود من ستائر

ما للإنسان حائر

يملك عقلا.. يملك مشاعر

...

استمر حسن في إلقاء أشعاره .. وآمال تستمتع لها مستمتعة بها.

مرّت الساعة ولم يدرك الصديقان مرورها حتى لمح حسن المركب قادما نحو الباخرة .. ليس

بمفرده .. على ما يبدو يحمل " زبائن " أيضا .. يبدو من مظهرهم وملبسهم أصحاب مكانة .. حلل سوداء ..نظرات سوداء .. ستة أفراد من الرجال.. أجسام ضخمة .. عليهم الهيبة غير المراكبي ..

- المراكبي : اتفضلوا يا بشوات .

- أحدهم ويبدو أنه رئيسهم : بطاقتك يا أستاذ وأنت أيضا يا آنسة.

- حسن : مين حضرتك حتى تطلب بطاقتي ؟!

- شرطة الآداب.. ليس هناك داعٍ لكثرة الكلام.. اعطني البطاقة.

- شرطة الآداب .. وما علاقتنا بالآداب .. نحن نجلس في باخرة محترمة .. ولم نرتكب أي فعل مخل بالآداب... وما أدراني أنكم من الآداب؟! ... أرني كرنيهك لو سمحت .. أعطك بطاقتي.

هنا يلتف اثنان من أصحاب الأجسام الضخم حول حسن .. أحدهما قائلا :

- اعطِ الباشا البطاقة ..

هنا حسن يفكر في ثوان معدودة .. ما الحلُّ؟! كيف أخرج من ذلك الموقف.. هل أقاوم؟! .. وآمال معي ما مصيرها ؟!

- هل لنا أن ننتهي من ذلك .. اعط البطاقة للباشا.

- يا أستاذ الباخرة من البواخر المشبوهة .. وعليها أكثر من قضية في الآداب.

لمح حسن المراكبي يبتسم ابتسامة شماتة؛ فيدرك أنه وقع في شباك حبكة قد تُودي بسمعة آمال... الآن لابد أن يزعن للأمر من أجل صديقته.. ثم يرى حلا للأمر .

يميل أحدهم ليهمس في أذن حسن عند إطلاع كبيرهم على البطاقات وإدراكه أنهما صحفيان - وهذا لم يشفع لهما - قائلا:

- يا أستاذ الأمر بيدك .. معك الآنسة .. سوف نقوم بعمل محضر في الآداب .. حافظ على سمعة الفتاة وسمعتك.. هات ما معك من مال أرضي به الباشا .. وأحاول مساعدتك على أن ننهي هذا الأمر وتعود سالما مع الآنسة دون قضايا.

- حسن : ليس معي سوى ثلاثة مائة جنيه.

- لا ينفع بشئ.. أنت حرّ يا أستاذ ..ولكني سأحاول أن أجد لك حلا.

- كبيرهم : اصحبوهم إلى المركب.

- أحدهم : يا باشا .. بعد إذنك البنت والولد شكلهم من الناس المحترمة.. وعلى ما يبدو أنهما لم يعرفا أنها باخرة مشبوهة .. وسوف نساعدهما.

يميل هذا الشخص مرة ثانية نحو أذن حسن:

- سنأخذك إلى البنك فقد رأيتك في محفظتك بطاقة بنكية اسحب لنا ما فيها .. وسوف تبقى الفتاة معنا حتى يتم السحب.. ثم نعطيك الفتاة.

حسن أخذ يفكر في الأمر .. هل أستسلم لهما من أجل آمال وسمعتها أم أرفض .. قد يؤذوها أو يستكثرون أنفسهم ويأخذون البطاقة البنكية بالقوة.. ليس أمامي سوى هذا الحل ولكن لن أرضى ببقاء آمال معهم.. وخاصة أنني أيقنت أنهم ليسوا شرطة آداب أو غيره هي عصابة تُوقِع الناس في فخ يجيدون حياكته .. أذعن للأمر من أجل آمال.

- أنظر معي البطاقة البنكية لا تحوي إلا ألفي جنيه سأسحبهم كلها من أجلكم ولكن لن أترك آمال معكم ستأتي معنا والبطاقة معكم وسأعطيكم الرقم السري عند وصولنا لماكينة الصرف .. لكن لن أترك الفتاة.. حتى ولو أجبرتوني على ذلك فلن تعرفوا رقمها السري ... بنية صافية

سأعطيكم المال ومعنا آمال .. ثم يذهب كل في حاله.

- الرجل قائلا: تمام .. اتفقنا .

يتجه الجميع نحو ماكينة الصرف وتتم عملية السحب.. ينصرف الجميع هروبا في سيارتهم.. تاركين حسن وآمال وحدهما.

تنظر آمال إلى حسن بنظرة دامعة فقد مرت بتجربة خوف ورعب .. وحسن يرى إن وقع في خديعة قهرت نفسه .. كيف وصلنا إلى هنا وقد فقدنا الأمان .. كيف تعرضنا لهذا ..

هل نتجه إلى الشرطة ليتم الإبلاغ عن ذلك ؟! لو ذهبنا إلى الشرطة سمعة آمال كيف ستكون.. الإذعان للأمروإخفاء الحدث هو المرغوب فيه الآن ..

يصطحب آمال للعودة وهو يشعر بهزيمة في النفس وانكسار في يده أن يفعل الكثير .. فهو ذلك الصحفي الذي يحقق في قضايا الفساد.. تلك

قصة تحت يديه قصة فساد حقيقية .. سأنشرها تحت مسميات مغايرة.. لأظهر الحق والقضاء على الفساد والنصب و الاحتيال.





يوسف محمد حسين

الفهرس

